الكاتبة الصحفية نُتَيْلة إبراهيم راشد

(١٩٣٤/٩/١٩ـ ٢٠١٢/٥/٢٦)

أ. هيام حمدى العناني

كبير باحثين بمركز توثيق وبحوث ادب الطفل

حياتها

كانت طفلة حياتها عامرة بالحكاية، تضمها والدتها كل يوم وتقرأ لها قصة، تتخيل الصغيرة أحداث مختلفة، تخلق أبطالًا وتفاصيل ببصمة خاصة بها. تَفتَّح خيال نُتَيْلة راشد على (حواديت) الأطفال، فلم تبرحها، رافقتها في الكتب ونسجت قصصًا من خيالها على الورق، كبرت وما نقصت محبتها يومًا، (٤٥) عامًا ظلت تشارك الصغار في مجلة (سمير) جرعة من المعرفة والحنان كما فعلت أمها معها، وهبت نفسها للمسيرة، حتى بات اسم (ماما لبنى) علامة مؤثرة لدى أجيال عاصرت المجلة المصرية الأشهر للأطفال.

وُلدت نُتَيْلة راشد (ماما لبنى) في القاهرة في منتصف الثلاثينيات في ١٩٣٤/٩/١٩، وجاءت نشأتها في أسرة ميسورة الحال. وهي كاتبة صحفية مصرية، وأمينة لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة، وهي إحدى مؤسسات مجلة سمير للأطفال في إبريل ١٩٥٦، وشغلت منصب رئيس تحريرها من عام ١٩٦٦ وحتى ٢٠٠٢. وأيضًا كتب الهلال للأطفال سابقًا، وإحدى أهم من كتبن للأطفال وأفنين عمرهن من أجلهم، وتُوُفِّيَت في ٢٠١٢/٥/٢٦.

واسم (نُتَيْلة) من الجزيرة العربية، وهو أيضًا اسم إحدى عمات النبى محمد ﷺ.

كتاباتها وأعمالها

بدأت نُتَيْلة راشد الكتابة للأطفال والشباب منذ أن كانت طالبة بجامعة القاهرة. وفي عام ١٩٥٣ أذيعت لها أول مجموعة قصص قصيرة في الراديو. وقد كانت تحاول من خلال كتابتها أن تصور الحياة المعاصرة في مصر للأطفال في جميع أنحاء العالم، بالإضافة الى المزج الأدبي الثقافي لرصد العادات والتقاليد المصرية بمصر القديمة والمعاصرة.

كرست نُتَيْلة حياتها للكتابة إلى الصغار، ودار فلكها صوْب ما يعزِّز مشوارها، فاستفادت من دراستها بقسم علم النفس والاجتماع والفلسفة في كلية الآداب، وحين قررت تأسيس أسرة، ساقها القدرُ لتشارك الدرب مع كاتب قصص الأطفال (عبد التواب يوسف).

التحقت نُتَيْلة بمجلة سمير عقب تخرجها، وكانت وقتها دار الهلال ملك عائلة زيدان، وأعلنت عن حاجاتها لكُتَّابٍ لقصص الأطفال ليعملوا بالمجلة، وكانت ترأس تحريرها السيدة (نادية نشأت)، تزاملت مع كوكبة من الرسامين أمثال عدلى رزق الله، ومصطفي حسين، جميعهم عملوا لتقديم محتوى للطفل، وليس "القيمة مادية" كما حكت الكاتبة الراحلة في حوار لها مع جريدة القاهرة في ١ يناير ٢٠٠٢.

سريعًا فرضت نُتَيْلة موهبتها، صارت نائب رئيس التحرير، لكن نقطة النور تجلت مع عام ١٩٥٦؛ حيث أحدثت كاتبة الأطفال نقلة بمجلة سمير، ما كان الإصدار مصريًا خالصًا، كانت تحتوي قصصًا أجنبية مترجمة، تضم شخصيات ديزني الشهيرة إلى جانب

الأبواب المصرية، لكن كل شيء تغير بعد العدوان الثلاثي، وتمصَّرت المجلة الأشهر في مصر والوطن العربي.

في ١٥ أبريل ١٩٥٦، باليوم الرابع من شهر رمضان، كان الظهور الأول للطفل ذي البشرة القمحية (سمير) وصديقه (تهته) في إصدار (مجلة الأولاد) عن دار الهلال المصرية، ١٦ صفحة ملونة بها من القصص الممتعة بسعر قرشان.

سارت نُتَيْلة على نهج الأوائل ممن يحترمون عقلية الطفل ولا يقللون منه لصغر عمره، لم تكتف باستكتاب أصحاب أقلام كبار، أمثال الأديب (نجيب محفوظ)، و(توفيق الحكيم)، بل جعلت الأطفال جزءًا أصيلًا من مجلتهم.

اشتبك قرَّاء المجلة الصغار بالكتابة والرسم مع كل ما يدور حولهم، وجعلت نُتَيْلة منهم صحفيين يكتبون في باب مخصص لهم باسم (مراسل سمير الصحفي الناشئ)، اجتمعت بهم، شأن أية هيئة تحرير في جريدة، استمعت إليهم، وأصدرت لهم بطاقات هوية صحفية، شأن أى عامل بالمجال. وقامت من خلاله برعايتهم وتعليمهم الصحافة وقواعدها، وأكثر من التحقوا بالباب كانت تنشر موضوعاتهم الصحفية وحواراتهم في مجلة سمير مع صورهم.

في عالم (ماما لبنى) كان كل شيءٍ متاحًا، تذوب فوارق العمر في عبارة (مجلة يعرفها الجميع من سن ٨ إلى ٨٨ عامًا). لم يكن ما فعلته نُتَيْلة مع الأطفال غريبًا، هي ذاتها كتبت قصتها الأولى في الرابعة عشرة من عمرها، وأرسلتها إلى مذيع الأطفال الشهير بابا شارو، من حينها واصلت الكتابة حتى احترفتها، لم يكن ثمة حاجز بينها وبين الأطفال سوى اسمها، لكنها تعلمت مبكرًا أن التغيير مطلوبٌ أحيانًا للوصول إلى الهدف، تحكى الكاتبة الراحلة: "كان اسم نُتَيْلة صعب النطق على زملائى في المدرسة، فكانوا يتجاهلون مناداتى باسمى، وينادوننى (أنتِ). كنت أذهب باكية إلى المنزل يوميًا، فحزن أبي لحزني، ونقلني لمدرسة إنجليزية، وفوجئت أنهم من اليوم الأول نطقوا اسمى سليمًا".

أرادت نُتَيْلة أن تكسر أي حائل بينها والأطفال، دون أن يتنقص هذا من اعتزازها باسمها المنسوب للنبى محمد (ص)؛ لهذا قررت تغيير توقيعها إلى (مامة لبنى) كانت قد أنجبت ابنتها لبنى حينها، إلا أن مشيئة الصغار غلبت الأطفال، كان سهلًا عليها نطق ماما بدل مامة، فصارت نُتَيْلة (ماما لبنى).

كتبت وترجمت العديد من قصص الأطفال إلى العربية خلال حياتها المهنية مثل (ملابس الإمبراطور الجديدة) لـ (أندرسن)، و(الأمير السعيد) لـ (ويلدو)، و(الجمال الأسود) لـ (سويل)، كما قامت بكتابة العديد من الكتب والبرامج التليفزيونية والإذاعية للأطفال والشباب في الوطن العربي، بجانب مجلات الشباب، ومن أشهر أعمالها كتاب (يوميات عائلة ياسر)، الذي تم إنتاجه كأول فيلم للأطفال من المجلس القومي للثقافة المصرى، وأيضًا (تحيا الحياة)، و(معسكر الجزيرة الخضراء).

ترأست نُتَيْلة راشد تحرير مجلة الأطفال (سمير) منذ إنشائها عام ١٩٥٦، وحتى عام ٢٠٠٢. وفي عام ١٩٦٥ قامت بإنشاء قسم خاص لكتب الأطفال في دار الهلال بالقاهرة، والتي عملت بها كناشرة أيضًا على مدار خمس سنوات.

كان لها مقال أسبوعي تحت اسم (أولادي حبايب قلبي)، وهو الأشهر في مجلة سمير، و(مذكرات عصام)، تيمنًا باسم ابنها عصام، و(مغامرات سمير وتهته)، والكوميديا السياسية (السلطان بهلول)، و(فريق البواسل) للكشافة، و(زيكو زكى العبقرى الصغير)، وغيرها من المغامرات.

وقد اهتمت ماما لبنى بالأطفال وبنائهم، والتواصل معهم، فابتكرت باب (مراسل سمير الصحفي الناشئ) لرعاية أجيال من الأطفال، وتعليمهم الصحافة وقواعدها، وأكثر من التحقوا بالباب كانت تنشر موضوعاتهم الصحفية وحواراتهم في مجلة سمير مع صورهم، وهم لم يتعدوا الرابعة عشرة من عمرهم.

تُرجمت بعض أعمال ماما لبنى إلى اللغة الإنجليزية، وترجمت هي نفسها بعض الأعمال عن الإنجليزية، لتصدر هذه وتلك عن دار الهلال التي ارتبط اسمها باسم ماما لبنى سنوات وسنوات، ترأست في بعض منها كتب الأطفال عن الدار، ونالت خلالها جائزة الدولة في أدب الأطفال، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.

شاركت كعضوة باللجنة العليا لمهرجان القاهرة الدولي لسينما الطفل، وعضوة باللجنة العليا للطفولة والنشأ بمكتبة الاسكندرية.

زواجها

في عام ١٩٥٦، تزوجت من رائد أدب الأطفال الكاتب الراحل (عبد التواب يوسف)، الذي حصد جوائز عالمية في الكتابة للأطفال، وكانت ماما لبنى قد أصدرت قرارًا بألا يكتب عبد التواب في مجلة سمير حتى تتقي الشبهات، حتى أن المرة الوحيدة التي كتب فيها عبد التواب يوسف في (سمير) كان في عيد ميلاد المجلة، وعبر خطة محكمة لم تعرفها إلا بعد النشر. وأنجبا أولادهما الثلاثة: دكتورة لبنى يوسف عام ١٩٥٧، وهي أستاذ الأدب الإنجليزي بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب - جامعة القاهرة، ووكيلة الكلية لشؤون الدراسات العليا؛ والسفير هشام يوسف عام ١٩٥٩، وهو دبلوماسي، وكان المتحدث الرسمي ورئيس مكتب الأمين العام للجامعة العربية، ورئيس وحدة الإغاثة في منظمة التعاون الإسلامي في جدة، وعصام يوسف عام ١٩٦٥ الكاتب، وصاحب رواية (ربع جرام) الشهيرة عام ٢٠٠٨، و(اثنين ضباط) عام ٢٠١٤، ومقدم برنامج (العباقرة) على قناة "القاهرة والناس.

الجوائز التي حصلت عليها

انقضت ثمانية أعوام على رحيل نُتَيْلة إبراهيم راشد في مايو عام ٢٠١٢، إلا أن محرك البحث (جوجل) أعاد لذاكرة الكثير سيرة أحد رواد أدب الأطفال المصريين، حينما احتفل صباح الأحد ٢٠٢٠/٩/٢٠، بميلاد الكاتبة المصرية، وإحدى مؤسسات مجلة (سمير) ورئيسة تحريرها، والموافق ١٩ سبتمبر، وذلك عن طريق وضع صورتها بدلًا من شعاره على الموقـــع الرسمي بمنطقة الشرق الأوسط.

حصلت الراحلة نُتَيْلة راشد على جائزة الدولة في أدب الأطفال عام ١٩٧٨، وجائـــزة الدولـــة لصحافة الطفل في عام ٢٠٠٢، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من وزارة الثقافة؛ نظرًا لما تقدمه في مجال أدب الأطفال.

أدرج الجهاز القومي للتنسيق الحضاري اسمها على مشروع (عاش هنا) الذي اهتم بتخليد الرموز المصرية عبر التاريخ، فقام الجهاز بوضع لافتة على منزلها تحمل اسم (ماما لبنى)، وكذلك عنوانها.

لم يكن في قصصها من يحمل لواء المساواة، لكن المساواة هي أصل الحكاية، وليس هناك من يتغنى بالخير، ولكن الشر مهزوم، وليس هناك من هو كامل ومثالي، ولكن هناك دومًا من يسعى لأن يكون أفضل وألطف وأكثر قدرة على التكيف مع الحياة. الحياة في قصص ماما لبنى ليست حلمًا ورديًا، بل هي تجربة حياتية كاملة بما فيها من اختبارات، يتم اجتياز بعضها والإخفاق في البعض الآخر، دون أن تفقد الرغبة في المضي قدمًا.

طالما رأت نُتَيْلة في الكلمة الصادقة سبيلًا للوصول إلى فؤاد وعقل الطفل، راهنت على الفطرة، ولم تخسر.

المصادر

١-wiki: https://ar.wikipedia.org

٢-https://news.akhbarten.com

٣-https://rosaelyoussef.com

٤-https://alreyadanews.com

٥-https://arabic.cnn.com

٦-https://٣rabica.org أرابيكا – الموسوعة الحرة

٧-https://www.mobtada.com